تعلم اللغات الأجنبية بجانب العربية
ضرورة دينية وعصرية

للعميد فريد عامر ملكي

لغة إنجليزية

تعلم اللغات الأجنبية بجانب العربية

ضرورة دينية وعصرية

الحمد لله وأستعينه وأصلي وأسلم على أشرف خلقه الذي أرسله رحمة للعالمين، بشيرا ونذيرا وعلى آله وصحبه ومن تبعه واهتدى بهداه الى يوم الدين ...وبعد:

لا يخفى علينا ما للغة من منزلة في حياة الأمم .وما لوظيفتها من أهمية في مجال التفاهم الانساني، وفي عالمنا المعاصر الذي يعدّ كالقرية الكبيرة مهما ترامت أطرافه وتناءت، فاننا نشعر بحاجتنا الملحة الى ضرورة تعلم اللغات الأخرى بجانب لغتنا العربية وذلك لتشابك المصالح ولغرض الاتصال بيننا وبين كافة الشعوب سواء في المجال الديني أو الدنيوي.

وفي مبحثي هذا أود أن أوضح:

أولا: ماهية اللغة بوجه عام.
ثانيا: أهمية الحرص على تعلم لغتنا العربية، ووجوب اهتمامنا بها.
ثالثا: الهدف الأساسي من البحث وهو ضرورة تعلم اللغات الأخرى.

أولا: ماهية اللغة:

يعرف الأستاذ «مازن المبارك» اللغة بأنها[١] «أداة التفاهم المشترك بين الأمة أو الجنس الواحد، وهي ليست مجرد رموز شكلية كما يراها البعض، ولكنها مرآة لشخصية الأمة ووحدتها، وأساس حضارتها وطرائق تفكيرها[٢]».

وهي أيضا نشاط إنساني تعبر عن طبيعة الشخص المتحدث بها، وتعبر أيضا عما يدور بداخله من أفكار وأحاسيس، وما تعتريه من عواطف أو انفعالات.

ثم اننا نجد أن اللغات من أعظم وأهم ما يميز الأمم والشعوب، فهي الرابطة الحقيقية الوحيدة بين عالم الأذهان وعالم الأجسام[٣].

ولكل فرد طريقته وأسلوبه في كيفية التعبير عن نفسه، أو تجاه أي موقف من المواقف. قال الله عز وجل في كتابه العزيز: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾"[٤] سورة الروم.
وفي آية أخرى قال عز وجل: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿١٣﴾"[٥] سورة الحجرات.

(١) لايخفى أن هذا تعريف بالوظيفة، أما التعريف بالحد والكنه والحقيقة فهو كما ذكره العلامة ابن جني «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم «أو ما ذكره «سويت»: «التعبير عن الأفكار ـ بواسطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات «أو اللغوي الأمريكي، سابير» وسيلة انسانية خالصة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة ارادته». أنظر: «في فقه اللغة» د. عبدالعزيز علام، وعبدالله ربيع ص ٢٦.

(٢) نحو وعي لغوي ص ٤٧.

(٣) السابق بتصرف.

(٤) سورة الروم: آية ٢٢.

(٥) سورة الحجرات: آية ١٣.

أنظر: «في فقه اللغة» للدكتور عبدالله ربيع، والدكتور عبدالعزيز علام ص ٢٦، المكتبة التوفيقية ـ القاهرة ـ ١٩٧٦م.

واللغة فكر الأمة وتاريخها، وهي أيضا معين لتراثها وعاداتها وتقاليدها، ولهذا فقد قيل «من عرف اللغة عرف الأمة»، «ومن أضاع لغته فقد أضاع نفسه».

والوعي السليم أن يفقه المرء لغته، وطبيعتها وحقائق خصائصها.

وتفسير اللغويين للغة لم يرض الكثيرين ممن ينتمون الى الثقافات الأخرى، فيعرفون اللغة من زاويتهم، مثال ذلك ما نراه عند المناطقة وعند علماء الاجتماع ومن تأثر بهم:

فالمناطقة يعرفون اللغة بأنها على حد تعبير «جيفونز» تؤدي ثلاثة أغراض:

أنها وسيلة للتوصيل والتفاهم - وأنها عون آلي للتفكير - وأنها وسيلة لتسجيل الأفكار وللرجوع الى ما يسجل منها.

وعلماء الاجتماع يقولون: انها حلقة في سلسلة النشاط الانساني المنتظم، انها جزء من السلوك الانساني، أنها ضرب من العمل، وليست أداة عاكسة للفكر واستعمالها على هذه الصورة ليس قاصرا على الجماعات البدائية، بل انه ليلاحظ في أرقى الجماعات تمدنا(٦).

وهكذا تتحقق نظرة هؤلاء الى اللغة على أنها وظيفة اجتماعية وطريقة للعمل وهو تفسير من خلال دور اللغة ووظيفتها.

---

(٦) اللغة والمجتمع رأي ومنهج: دكتور محمد السعران ط ١٩٦٣م ص ١٧.

ثانيا: اللغة العربية وأهميتها:

ان من واجبنا أن نلم بأصول لغتنا العربية وقواعدها، إذ أنها العامل الرئيسي للوحدة والثقافة والحضارة العربية والاسلامية المشتركة، فضلا عن أنها الرباط المشترك الذي يربط بيننا كأبناء أمة واحدة، بل ان الأمر يتجاوز الأمة العربية الى الأمة الاسلامية، فان تعلمهم اللغة العربية يعدّ أمرا ضروريا وملحا، ذلك لأنها شعار الاسلام ولغة القرآن، ولا سبيل الى تعلم وفهم القرآن والسنة النبوية والعلوم الدينية إلا بتعلم اللسان العربي إذ أن القرآن الكريم وهو الدستور الالهي الخالد نزل بها فأعطاها مثلا معجزا وفريدا بين سائر اللغات الأخرى. قال الله تعالى في كتابه العزيز: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝»[7] سورة يوسف.) وقال أيضا: «وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۝»[8] (سورة يوسف) وفي سورة أخرى قال عز من قائل: وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝[9] (الشعراء)

ومما يشجع أيضا على تعلم اللغة العربية وخاصة بالنسبة للمسلمين غير الناطقين بها قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العربية فانها من دينكم» وقول شيخ الاسلام ابن تيمية «اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب، فان فهم الكتاب والسنة فرض لا يفهم إلاّ باللغة العربية وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب».

بل إن الأديب طه حسين قد وصف من لم يتعلم العربية بالذلة والمهانة والنقص، فقد قال: «ان المثقفين العرب الذين لم يتقنوا معرفة لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضا»، وقال الدكتور مازن المبارك في هذا الشأن «لا يبلغ الوعي السياسي والقومي عند الأمة مداه الأبعد ما لم يقترن بوعي لغوي سليم[10].

(٧) سورة يوسف : آية ١٢.

(٨) سورة الرعد : آية ٣٧.

(٩) سورة الشعراء : آية من ١٩٢ ـ ١٩٥.

(١٠) «نحو وعي لغوي سليم» فصل «أقوال» ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢.

إذا نظرنا الى هذه الأقوال السابقة يتضح لنا مدى أهمية تعلمنا اللغـة العـربية ووجوب الحرص على تدارسها واتقانها، ذلك لأنها اللغة التي نزل بها ديننا الحنيف، وهي أيضا أقرب الطريق الى أفكارنا، بل إن الأمر لا يكفي أن نتدارسها وأن نعلمها لأجيالنا ونشئنا فقط، ولكن يجب علينا أن نبذل ما في وسعنا لجعلها لغة دولية يتكلم بها غير العربي، ذلك لأن الأجنبي الذي يتعلم لغتنا العربية يصبح أكثر تفهما لأفكارنا وسوف تصبح العربية أسهل تناولا لديه، بل يمكننا القول اننا إذا علّمنا أجنبيا اللغة العربية فاننا نكون قد ضممنا إلينا صديقا يفهم أفكارنا وينقلها أو يقوم بنشرها دون تحريف أو تشويه في بلاده.

ومن ثمّ يتضح لنا ضرورة تهيئة الجو المناسب لطلابنا وخصوصا الصغار منهم لكي يشبوا وهم فاهمون واعون بأصول ومبادئ لغتنا العربية فضلا عن العمل الدءوب على تسهيلها ونشرها خارج حدود وطننا العربي.

ثالثا: ضرورة تعلم اللغات الأجنبية الأخرى:

ليس معنى تعلمنا للغتنا العربية الأم والالمام بأصولها وقواعدها أن نقف مكتوفي الأيدي من دراسة وتعلم اللغات الأخرى، بل أن تعلم تلك اللغات يعتبر ضرورة دينية وعصرية على السواء، وخاصة من جانب المثقفين منا، ذلك لأن هناك دوافع كثيرة تدعونا الى ذلك، بحيث يجب على المسئولين عن المؤسسات التعليمية أن يشجعوا على تعلم تلك اللغات ويشحذوا الهمم في ذلك... ومن أهم تلك الدوافع ما يأتي:

أ ـ الدافع الديني:

وتأتي الحاجة الدينية في مقدمة الدوافع التي تدعونا الى تعلم اللغات الأجنبية الأخرى ـ وخاصة اللغة الانجليزية لانتشارها وأهميتها الدولية والتي ليست موضوع حديثنا الآن ـ ولعل عدم وضوح رأي الدين للكثير منا يجعل معظمنا يتخاذل أو يتوانى في تعلم تلك اللغات، بل ان هناك من يرمون من يتعلم لغة أجنبية أخرى بالكفر أو الخروج عن الدين، وهؤلاء جهلة وقاصرون في فهمهم.

ومن يبحث في النصوص الدينية يجد أنها مليئة بالآيات والأحاديث التي توضح أهمية تعلم تلك اللغات.

قال الله عز وجل "وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ"(١١)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية «وقد كانت سنة الله في خلقه أنه ما بعث نبيا في أمّة إلاّ أن يكون بلغتهم، فاختص كل نبي بابلاغ رسالته الى أمته دون غيرهم، واختص محمد بن عبدالله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة الى سائر الناس، كما ثبت في الصحيحين عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعطيت خمسا

(١١) سورة ابراهيم : آية ٤.

لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي... ومنها وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة، ثم قال ابن كثير وله شواهد من وجوه كثيرة، وقال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾»(١٢) سورة الأعراف.

وأقول كأن الله عز وجل أشار الى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف الألسنة لأنه أرسل إلى كافة الأمم كلها على اختلاف ألسنتهم، فجميع الأمم قومه بالنسبة الى عموم رسالته صلى الله عليه وسلم، فاقتضى ذلك أن يعرف ألسنتهم ليفهم عنهم ويفهمو عنه.

ومن هنا نعلم أيضا عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وأنها لم تقتصر على لون دون لون أو جنس دون جنس، ولقد بلغ الرسول الكريم رسالة ربه وأفهم الناس أمر دينهم الى أن لحق بالرفيق الأعلى، غير أنه حثنا على متابعة الدعوة ونشرها وارسال البعثات الاسلامية لتحقيق هذا المقصد النبيل، وقد حذا أصحابه رضوان الله عليهم من بعده حذوه وساروا يجوبون الأقطار والأمصار يفتحونها وينشرون دين الله الاسلامي، لذا يجب علينا ألاّ نألوا جهدا في متابعة الدعوة ونشر الاسلام في كل أرجاء العالم تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده خصوصا وأن نبينا آخر الأنبياء والرسل ولا نبي بعده، ولكن كيف تنتشر هذه الدعوة في بلاد لا تعرف ولا تفهم اللغة العربية، إذ أن من يتكلم اللغة العربية في العالم لا يزيد عن المائة والخمسين مليونا من مجموع سكان العالم الذي يزيد الآن على ستة آلاف مليون، ولهذا فان الأمر يقتضي أن نتعلم اللغات الأخرى وان نتصل بتلك الشعوب والأقطار وأن نغريهم عن طريق تعلم لغاتهم وشرح أصول ومبادئ ديننا الاسلامي والدعوة إليه بلسانهم، إذ أنه من المستبعد، بل وقد نكون مغالين حقا ـ أن ننتظر هؤلاء الناس لكي يأتو إلينا ثم يتناولوا لغتنا بالدراسة والبحث من تلقاء أنفسهم ثم بعد ذلك يتدارسون أمور الدين وما يتعلق به، ولكن الأمر يحتاج منا الى ترغيب هؤلاء الناس عن طريق تعلم تلك اللغات ومناقشة أهلها واقناعهم بها.

---

(١٢) ابن كثير جزء ٢ ص ٥٢٢، ٥٢٣ سورة ابراهيم تفسير «وما أرسلنا برسول ... الآية» طبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة.

ويخطىء من يفهم أن الدعوة الى الاسلام قد تتحقق بالكتب العربية التي لا تحصى ولا تعد، والتي تتكلم عن كنه وحقيقة الاسلام، فهي لا تعدو أن تكون سطورا نائمة في بطون الكتب، وأننا في مجال الدعوة هذا في حاجة ملحة الى دعاة ملمون بلغات البلاد الأخرى دعاة يفهمون حقيقة دورهم ومسئولية أهداف رسالتهم.

ويقول الدكتور عبدالحليم محمود في كتابه (أوربا والاسلام) :«ان أي دعوة مهما كانت من السمو لا يمكن أن تجتذب اليها الأنصار إلا إذا كان لها دعاية، وقد أخذت الدعاية في العصر الحديث مكانا يجعلها في الدرجة الأولى من الأهمية» ويضيف قائلا: «ان المسلمين يعرفون ذلك، ويعرفه كل مثقف منهم، ولكنهم لا يعلمون به فيما يتعلق بنشر الاسلام»، ثم قال: «وان الدين الاسلامي اذا كان ينتشر فانما ينتشر بقوته الذاتية رغم الهجوم عليه ورغم العقبات التي تعترض طريقه، ثم تساءل الدكتور عبدالحليم محمود قائلا: «أين دعاتنا في الشرق والغرب، أين مبعوثونا، أين الدعاة منا؟ لا شيء من ذلك مطلقا»(١٣)، والى متى سنظل نائمين في سبات عميق، ومتى سنغار لنصرة ديننا، ونأخذ بالأسباب التي تساعدنا على تحقيق نشره وشرح تعاليمه ومبادئه السامية لأولئك الناس الذين يجهلون أمره وحقيقته.

ونحن لا نتجاوز الحقيقة حينما نقول: أن الاسلام قد دخل الهند وباكستان وأفغانستان وأندونيسيا عن طريق الاتصال اللغوي بين تجار المسلمين الذين تعلموا لغة هذه البلاد وشعوبها.

ومن جهة أخرى فالأمر لا يقتصر على ضرورة تعلم اللغات الأجنبية الأخرى لاستخدامها في مجال الدعوة إلى الله عز وجل فحسب، بل إن حاجة المسلمين الناطقين بغير العربية ـ وهم السواد الأعظم ـ تدعونا الى تعلم تلك اللغات، إذ كيف يفهم الأفريقي أو الأوربي أو الأسيوي أو الأمريكي المسلم تعاليم دينه وأحكامه، إذا كان لا

---

(١٣) أوربا والاسلام.. ص ٣١.

يعرف اللغة العربية، ومعظم هؤلاء لا يعرفون سوى النطق بالشهادتين واجراء الصلاة فقط باللغة العربية ولكن حقيقة الإسلام وكنهه غير واضح لدى الكثيرين منهم، ونحن من واجبنا كمسلمين وكعرب ـ تجاه هؤلاء أن نتعلم لغتهم بحيث يسهل علينا شرح الأحكام الاسلامية وترسيخها وتثبيتها في قلوبهم، وإذا لم نفعل ذلك فاننا سوف نكن آثمين ومقصرين وسوف نتركهم عرضة لتشكيك هؤلاء الذين يحاولون محاربة هذا الدين وهدمه.

هذا ولقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، أهمية تعلم اللغات الأخرى التي كانت سائدة في عصره، مثل السريانية والفارسية والحبشية ولغة يهود، بل انه قد نطق بها في كثير من الأحيان وعندما تطلب الأمر ذلك.

قال ابن حجر في الاصابة، روى البخاري عن زيد بن ثابت عن أبيه قال: «أتى بي النبي صلى الله عليه وسلم مقدمة المدينة، فقيل هذا من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت عليه فأعجبه ذلك، فقال تعلم كتاب يهود فاني ما آمنهم على كتابي، ففعلت فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب اليهم له، واذا كتبوا اليه قرأت له».

وروى عن زيد بن ثابت قال: «قال لي النبي صلى الله عليه وسلم إني أكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا عليّ أو ينقصوا فتعلّم السريانية، فتعلمتها في سبعة عشر يوما[١٤]» وهذا يوضح لنا أن تعلم اللغات الأخرى أمر مشروع وضرورة دينية أدرك أهميتها المصطفى الكريم وحث بعض أصحابه على تعلمها وذلك لحماية الدين وخدمته.

وقد نطق الرسول صلى الله عليه وسلم الفارسية بلسانه، فلقد أخرج البخاري في كتاب الجهاد ـ الجزء الرابع ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن ابن علي أخذ ثمرة من الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة»[١٥].

---

(١٤) الاصابة في تمييز الصحابة جـ ٤ ص ٤٢، الطبعة الأولى، مكتبة الكليات الأزهرية ميدان الأزهر، القاهرة.

(١٥) صحيح البخاري جـ٤ ص ٩٠ جهاد/ باب من تكلم بالفارسية... طبعة الشعب.

ووجه مناسبته كما قال ابن حجر في فتح الباري في شرح البخاري «انه صلى الله عليه وسلم خاطبه بما يفهمه مما لايتكلم به الرجل مع الرجل فهو كمخاطبة العجمي بما يفهمه من لغته»[١٦].

ولقد أخرج البخاري أيضا: «قال أبو حمزة كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس[١٧]» ولقد ذكر أن ابن عباس كان يلقي الدرس في أيام الحج وحوله الناس من كل البلاد ومعه مترجمون يترجمون لكل قوم بلسانهم.

كل هذا يدلنا على ضرورة ومشروعية تعلم اللغات الأخرى لحرص الرسول الكريم وأصحابه من بعده على ذلك لخدمة الدين ودعوة الناس اليه بلسانهم ولغتهم.

ولعل من أهم الأسباب التي تدفع بنا الى اعداد الأكفاء من متعلمي اللغات الأخرى هو: أن هناك من يحاول النيل من الاسلام والهجوم عليه والعمل على هدمه وخاصة أولئك الذين ينطلقون في تفسير الأحكام الشرعية كما يروق لهم وبما يخدم أغراضهم الدنيئة، ويلفقون التهم والأكاذيب والافتراءات بهدف تشويه الدين واضعاف شوكته، وهؤلاء كثيرون من المستشرقين وغيرهم ممن يحقدون على الاسلام ويكيدون للمسلمين.

كتب الدكتور عبدالله عباس الندوي في مقدمة كتاب «الإسلام في وجه التحديات» للأستاذ محمد أحمد مشهور الحداد يقول: ان «سير ادوارد روز» ذكر في مقدمة ترجمة معاني القرآن لجورج سيل ص ٧١١ «ان المعرفة بالمحمدية التي تملكها أوربا منذ قرون قائمة على أساس التقارير المغلوطة والمشوهة التي أعدها المسيحيون، وهذا الأمر أدى الى نشر الأكاذيب والافتراءات المتنوعة حول المحمدية، فكل خير في المحمدية وجدوه أخفوه تماما، وكل شيء لم يكون محمودا في عين أوربا كبّروه وبالغوا في بيانه أو شوهوا صورته في التعبير عنه» ويقول الكاتب معلقا على ماقاله هذا الأوربي، «ان هذه الشهادة التي أدلى

---

(١٦) فتح الباري/ لابن حجر العسقلاني جـ٦ ص ١٨٥ المكتبة السلفية.

(١٧) صحيح البخاري جـ١ ص ٣٢ كتاب العالم.

بها الكاتب المعروف والباحث المعترف بنزاهته، تكفي بيانا لسلوك المستشرقين تجاه الإسلام، ثم اضاف قائلا: وكانت الحاجة ماسة وشديدة الى أن يقوم كاتب مسلم ليميط اللثام عن الاسلام ويكشف اتجاهات هؤلاء الناس في محاربة الإسلام وتحديهم على مختلف الجبهات العلمية والسياسية والاجتماعية»، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١٨)

وقال الأستاذ الندوي في المقدمة أيضا: «انه يجب علينا أن نعد العلماء المتخصصين من رجال الدعوة والاصلاح لايجاد وعي اسلامي شامل، وأن تؤسس المجمعات العلمية الاسلامية التي تعكف على دراسة كتب المستشرقين واقرار الصحيح منها وتفنيد الباطل سواء كانت تلك المؤلفات في الحديث النبوي أو السيرة النبوية أو التاريخ الاسلامي(١٩)».

ثم اننا نجد أن أعداء الاسلام يبذلون قصارى جهدهم في القضاء على الاسلام والمسلمين عن طريق توجيه الحملات التبشيرية الكاثوليكية فمثلا يقول الأستاذ مشهور في كتابه أيضا: أن القسيس «رامون» وهو أخطر مبشر مسيحي وفد إلى ديار الاسلام يقترح بعض الأمور للمحافظة على شرف العقيدة الكاثوليكية المقدسة ومنها:

١ - ينبغي أن تبني أماكن معينة يتوفر فيها أشخاص من ذوي الذماء الرفيع لدراسة لغات شتى بغية التبشير بالانجيل المقدس للشعوب كافة.
٢ - ينبغي أن يؤلف رجال التعليم باللغات المختلفة كتبا تفند مزاعم معارضي العقيدة الكاثوليكية وتبهت كل من يرى ذلك الرأي(٢٠)».

---

(١٨) مقدمة «الاسلام في وجه التحديات» ص ١. أية ٨ من سورة الصف.
(١٩) السابق ص ٣.
(٢٠) «الاسلام في وجه التحديات» ص ٤٥. بتصرف.

وإذا نظرنا الى هؤلاء القساوسة نجد أنهم دائبون في القضاء علينا وعلى ديننا الاسلامي ونشر مبادئهم الكاثوليكية والتبشير بها حتى بين المسلمين أنفسهم، ولكن من الأولى والأجدر بنا أن نعرف ونتعلم اللغات الأخرى، نؤلف بها ونذود بها عن ديننا الحنيف، وأن نؤسس المعاهد والمراكز والكليات التي يتخرج منها هؤلاء الدعاة المتخصصون العارفون باللغات الأجنبية لنشر الاسلام وتوضيح مبادئه والدفاع عنه ضد أولئك المغرضين الحاقدين.

ولقد بلغ من حرص الغرب ودهائهم أن دأبوا على جمع وتصنيف مخطوطاتنا العربية وحفظها وترجمتها، فمثلا يقول الأستاذ مشهور في كتابه ايضا: «رصد مبلغ ١٥٠ ألف ليره لمترجم واحد و٢٠٠ ألف ليرة أخرى للمساعدين لقاء ترجمة أشعار أحمد شوقي، وحافظ ابراهيم، خليل مطران، اسماعيل صبري، محمود سامي البارودي، ابراهيم اليازجي، علي محمود طه، عزيز أباظه، هاشم الرفاعي، محمود غنيم، روايات وقصص الوعد الحق لطه حسين، والوعاء المرمري لمحمد فريد أبو حديد، وواسلاماه لعلي باكثير.

ثم تساءل الكاتب ماذا يستفيد الغرب من كل ذلك ؟ ولماذا يقومون بكل تلك المجهودات وينفقون الأموال الطائلة في سبيلها ؟، أيفعلون ذلك لكي يحفظوا لنا تراثنا ؟ أم لينالوا شكرنا وتقديرنا ؟

وأضاف الكاتب أنه لكي نجيب عن هذه الأسئلة أبدى الكاتب الملاحظات الآتية:

١ ـ كلنا يعلم أن صراعا عقائديا كان ولا يزال بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي ورغم ذلك نجد أن الغرب يعني بدراسات تراثنا فأقام وأنشأ مائتين وعشرين مقعدا للدراسات العربية والأدب العربي وخصص في بعض الجامعات شهادات عالمية وجوائز مالية للناجحين في اللغة والأدب العربيين. فما الغرض من كل هذا ؟

٢ ـ احتفظ الغرب بنوادر المخطوطات العربية وألف فيها الكثير وجمعت مكتباته مالم تجمعه مكتباتنا، حتى أن مكتبة باريس وأخرى في لندن وثالثة في بنسلفانيا

بأمريكا وألمانيا أيضا، جمعت ما لم تجمعه مكتبات كل الدول العربية والاسلامية وبالذات من نوادر المخطوطات. فما هو القصد من هذا ؟

٣ ـ لا اتحدث عما قام به الغربيون من مؤلفات نفيسة تحقيقا وتبويبا واستقصاء، الأمر الذي أصبحت هذه المؤلفات الغربية مراجع ومصادر للمؤلف العربي والمسلم في الشرق والغرب. فما معنى هذه المظاهر ؟

ثم أضاف الأستاذ مشهور أن أحد رجال الفكر عندما سأله هذه الأسئلة قال ما ملخصه الآتي:

«لا يمكن معرفة أي حضارة ما لم تدرس تلك الحضارة بلغة فكرها، واللغة من أهم عناصر الحضارات وهم حريصون على معرفة الحضارة العربية في لغتها وآدابها ليضمنوا استمرار وجود مبشرين ومستشرقين وأساتذة بحوث، وليضمنوا أيضا وجود كتاب مفكرين يمشون على نفس النهج المخطط في دس المغالطات واختلاق النقائص، وبالتالي بلبلة الفكر العربي الاسلامي[٢١]».

وإذا تساءلنا عن كيفية الرد على هؤلاء وكيفية حماية الدين منهم ومن شرورهم، وجدنا أن الأجابة بمنتهى البساطة تتلخص في الآتي:

١ ـ انشاء المراكز والمعاهد والكليات التي يتربّى فيها ويتخرج منها أصحاب الخبرة العالية والكفاءة النادرة في معرفة اللغات الأخرى بالاضافة الى معرفتهم لأصول ديننا الاسلامي واعدادهم اعدادا سليما لكي يقوموا بنشر هذا الدين، وايجاد وعي اسلامي شامل خارج حدود بلادنا العربية، وأن يذودوا ويدافعوا عنه ويفندوا لأولئك المستشرقين ادعاءاتهم وافتراءاتهم ويقرعونهم الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان.

---

(٢١) الاسلام في وجه التحديات» من ص ١٩٩ ـ ٢٠٢ بتصرف.

٢ ـ أن يصدر رجال العلم المتخصصون كتبا ميسرة ومبسطة بشتى اللغات المختلفة تساعد أيضا على نشر الاسلام في ربوع العالم كله ويردون بها على أولئك المغرضين وما يوجهونه ضد الاسلام.

٣ ـ انشاء هيئة اسلامية عليا تقوم باصدار المجلات والنشرات الاسلامية الدورية وتكون على استعداد للرد فورا على ما قد يستجد أو يوجه ضد الاسلام وتفنيده تفنيدا قاطعا.

وفي هذا المجال كتب الأستاذ مشهور في كتابه أيضا يقول «اننا في حاجة الى التأليف بلغات القوم، وكم نحن في حاجة الى مجلة واحدة على المستوى العالمي باللغتين الانجليزية والفرنسية وفي افريقيا بالانجليزية والسواحلية تحمل أهداف الاسلام الصحيحة وترد على هؤلاء المستشرقين افتراءاتهم، ولا يجب أن نظل منبثين في ربوع بلادنا عاجزين عن أن نواجه تلك التحديات التي تواجه الاسلام لجهلنا باللغات الأخرى[٢٢]».

ب ـ الدافع الدنيوي «الضرورة العصرية»:

ولا تقتصر أهمية تعلم اللغات الأخرى على الناحية الدينية فحسب، بل تمتد أيضا إلى الناحية الدنيوية، ذلك لأن استعمال اللغات الأخرى يعتبر هدفا عاما ومطلقا، وهو تبادل الأفكار بين العقول البشرية والتي ستؤدي بدورها الى ازدياد التفاهم بين الناس وتوثيق أواصر الصداقة ودعائم السلام بين الأمم.

ويقول الأستاذ محمد عبدالغني حسن في هذا المجال في كتابه «فن الترجمة في الأدب العربي» : «ان ضرورة التفاهم الدولي والتقارب الأممي وتشابك مصالح الشعوب ومقتضيات اتصالنا بتلك الشعوب يقوي الرغبة في تعلم اللغات الأخرى وخاصة ان العالم أصبح كالقرية الكبيرة متشابك الأهداف والأغراض».[٢٣]

---

(٢٢) الاسلام في وجه التحديات ص ٢٩.

(٢٣) «فن الترجمة في الأدب العربي» ص ٧٩.

وكتب أيضا الأستاذ مازن المبارك في كتابه «نحو وعي لغوي» قائلا: «ان اللغة هي المرتسم الحضاري للناطقين بها وهي في صميم المعركة لدى كل احتكاك حضارى بين أمتين وليس بالامكان ابداً أن تكون اللغة في معزل عن هذا الصراع، ومن توهم امكان ذلك كان جاهلا بطبيعة اللغة، انها كائن حي مثلنا تولد وتنمو وتعيش وتضعف وتموت، وهي في مجال الاحتكاك الحضاري أكثر فعالية منها لأنها هي أداة الاتصال بين الأمتين أو الحضارتين، فهي رسول حضارة أو جسر بين الحضارتين»[٢٤].

ولهذا فان تعلم اللغات الأخرى في بلادنا العربية يعتبر أمرا ذا بال وهو أيضا هام وضروري بالنسبة لنا، ذلك أن أهل تلك اللغات سبقونا في مراحل عديدة وخاصة في مجالات العلوم الحديثة مثل الطب والهندسة والكيمياء والطبيعة والجغرافيا والبيطرة والفنون العسكرية والزراعة وما إلى ذلك، وقد توصلوا فعلا إلى كشف حقائق جديدة جديرة بالاهتمام والمعرفة وضرورة الاستعانة بهم لتحصيلها ولكن إذا حملنا غرورنا على أن نتخاذل أو نحاول الاستغناء عنهم وأننا سوف نبلغ مبلغهم من التعمق والابداع والاستقصاء في البحث والاكتشافات فقد نبقى ذيلا في موكب العلم والحضارة والعمران، ولكن الأمر يقتضي منا أن نتعلم لغتهم ونتحدث بلسانهم لكي يسهل علينا أخذ ما كشفوه من حقائق وأن نتعلم أساليبهم في البحث والاكتشاف ثم بعد ذلك نحاول مجاراتهم الى الهدف المنشود».

ونحن نعرف أن العلوم والمعارف الحديثة لا تعرف وطنا تستقر فيه ولا تمنعها القيود ولا الحدود الاقليمية، بل انها إذا تخطت عقبة اللغة فسوف تنتقل من عقل إلى آخر، فالعلم كالهواء لا يعرف الحواجز أو الحدود الجغرافية ولكن تحصيله يستلزم أن يكون هناك تجاوب وتفاهم بين اللسان واللسان وأن يفهم العربي مثلا ما يقوله الغربي حتى يتحقق ما نصبو إليه من مسايرة العصر واللحاق بموكب الحضارة والتقدم.

---

(٢٤) «نحو وعي لغوي» ص ٢٦ ـ ٢٧.

ولقد قال الدكتور مازن المبارك في هذا الشأن «لا يمكن معرفة أي حضارة ما لم تدرس تلك الحضارة بلغة فكرها، فاللغة من أهم عناصر تلك الحضارات».

وذكر الدكتور عبدالصبور شاهين في مقدمة كتابه «في التطـور اللغـوي». «لغـة الحضارة الحديثة (وهي الانجليزية) احدى بل وأبرز اللغات الأخرى قد طغت على وجود العربية في مجال العلوم الحديثة في داخل الوطن العربي، ثم أن طوفانـا من الألفـاظ الجديدة يتدفق كل يوم على هذه اللغة المعزولة ويراد منها أن تستوعبه» ثم مضى يقول: «نحن مقبلون على عصر سوف تختفي فيه سمة الأصالة التي تحرص عليها كل لغة لتحل محلها سمة الامتزاج بين سائر اللغات والألسنة، فكل لغة آخذة ومعطية لأن شعوب العالم قد تدانت بينها المسافات وتفتحت مواهبها للاسهام في بناء الحضارات الحديثة حتى لم يعد العلم حكرا على شعب دون شعب ويوشك زمام الحضارة أن يصبح بين أيدي شعوب كانت تعد حتى الآن متخلفة ومـن بينهـا بل وفي مقدمتهـا الشعـوب العربية[٢٥]».

ونحن لا نجاوز الحقيقة حينما نقول ان الغرب قد تعلم العربية وأفاد منها ونقل اليه الكثير من العلوم التي لا زالت نواة لهذه الحضارة الحديثة التي حققها، وقد نقل الغرب عن علماء وفلاسفة المسلمين الأوائل مثل ابن سيناء والكندي والفارابي وابن خلدون والخوارزمي والحسن بن الهيثم وكثيرين غيرهم... وفي هذا الشأن يقول الأستاذ مشهور في كتابه «الاسلام في وجه التحديات»: «أن المؤرخ جورج سارطون» يقول في كتابه المشهور «مقدمة لتاريخ العالم» عندما أمسى الغرب مستعدا استعدادا كافيا للشعور بالحاجة إلى معرفة أعمق، وعندما أراد آخر الأمر أن يجدد صلاته بالفكر القديم التفت أول ما التفت لا إلى المصادر الأغريقية ولكن الى المصادر العربية «كما تقول المستشرقة الألمانية» «ديفرد هنكه» أن الغرب بقي في تأخره حضاريا وثقافيا واقتصاديا طوال الفترة التي عزل فيها نفسه عن الاسلام ولم يواجهه... ثم أضاف إذا لم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلاّ حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيا وعلميا وتجاريا واستيقظ الفكر الأوربي

(٢٥) «في التطور اللغوي» ص ٦.

على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية، ولقد ظهر عدد كبير من الفلاسفة الـذين اكتسبوا منزلة عالمية وذوي الجدارة التي لا جدال فيها والتي أفاد منها الغرب عندما بنوا حضارتهم التي نراها الآن مثل الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وابن عربي، بل ان سلطان الخوارزمي لم يقف عند حدود الجامعات الأوربية بل تجاوزها إلى أبعد منها بكثير، فقد انعكست رياضاته في المؤلفات الغربية التي وضعها «لينو ناردوفينوناتش» أو «يعقوب الفلورتسي» وغير هؤلاء(٢٦).

وإذا كان الغرب قد أفادوا منا في العلوم والآداب والفنون منذ عهد بعيد، فلا عجب الآن إذا تعلمنا لغتهم ونقلنا ما قد أنجزوه في مجالات الحضارة والرقي والعمران.

كتب الأستاذ محمد عبدالغني حسن في كتابه «فن الترجمة في الأدب العربي» قائلا: «لابد أن نوجد المثقفين الواعين الذين يمكنهم أن ينقلوا لنا ما عند الاخرين من خبرات وعلوم وأن يترجموا ما قد يفيد أمتنا الاسلامية من الخير، وأن يقوم هؤلاء بترجمة ما تدعو الحاجة إليه سواء كانت هذه الحاجة مادية كحاجة الأمة الى ما عند غيرها من علوم الطب والزراعة والصناعة وما إليها، وقد تكون هذه الحاجة روحية معنوية كحاجة الأمة إلى ما عند غيرها من متع الأدب وبدائع الخيال وروائع الشعر ونفائس القصص، وفي كلتا الحالتين تكون تلبية هذه الحاجة واجبا لا مفر منه ولا معدى عنه، كما يكون التخلف عن الاستجابة هنا تقصيرا كبيرا وتفريطا من الأمة في مجموعها(٢٧)».

ومما سبق يتضح لنا أن تأثير اللغات الأخرى ليس ماديا فقط نستفيد منه في مجالات العلوم المادية الطبيعية فحسب، بل يمتد إلى العلوم الأخرى كالأدب والفن وما إلى ذلك.

يقول الدكتور «علي عبدالواحد وافي» في كتابه «علم اللغة»: «ان الأدباء يتأثرون بأساليب اللغات الأجنبية واقتباسهم أو ترجمتهم لمفرداتها ومصطلحاتها وانتفاعهم بأفكار

(٢٦) «الاسلام في وجه التحديات» ص ١٣٣.

(٢٧) «فن الترجمة في الأدب العربي» ص ٨٥.

أهلها وانتاجهم الأدبي والعلمي، وهذا يؤدي بدوره إلى نهضة الكتابة وتهذيبها واتساع نطاقها وزيادة ثروتها، والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الأمم الغابرة وفي العصر الحاضر، فأكبر قسط من الفضل في نهضة اللغة العربية في عصر بني العباس يرجع إلى انتفاع الأدباء والعلماء باللغتين الفارسية والأغريقية، فقد أخذوا في ذلك العصر يترجمون آثارهما ويعقبون عليها بالشرح والتعليق، ويستغلونها في بحوثهم ويحاكون أساليبها، ويقتبسون منها عددا كبيرا من المفردات العلمية وغيرها ويمزجونها بمفردات لغتهم عن طريق تعريبها تارة وترجمتها تارة أخرى، فاتسع بذلك متن اللغة العربية وازدادت مرونة وقدرة على تدوين العلوم والآداب.

ويرجع كذلك أكبر قسط من الفضل في نهضة اللغة العربية بمصر والبلاد العربية في العصر الحاضر الى انتفاع الصحفيين والعلماء والأدباء باللغات الأوربية الحديثة ومحاكاتهم لأساليبها وتعريبهم أو ترجمتهم لألفاظها ومصطلحاتها واستغلالهم في مؤلفاتهم ومترجماتهم لمنتجات أهلها في شتى ميادين الحركة الفكرية»(٢٨).

ثم ان الدارس منا الذي يقوم باعداد الدراسات الأكاديمية العليا قد يجد نفسه في حاجة ملحة للرجوع الى المراجع الأجنبية لكي ينهل منها ويحصل منها المادة العلمية والاستفادة مما توصلت إليه الشعوب الأخرى.

وللغة أيضا أهميتها وقيمتها الحيوية في معرفة أسرار العدو وكشف خططه والتجسس عليه والعمل على التصدي لها، فقد حكي أن قائدا عربيا أرسل وفدا الى العدو قبل نشوب المعركة يطلب منه دفع الجزية وإلاّ حاربهم وكان رئيس الوفد العربي يعرف لغة العدو ولكنه أخفى ذلك تماما على القوم، فأحضروا له مترجما لكي يتحدث مع قائد الوفد، وأثناء المفاوضات التي جرت كان قائد الجيش يتشاور مع معاونيه العسكريين في بعض الأمور العسكرية، وكان رئيس الوفد العربي يفهم كل ما يجري وما يقال أمامه

(٢٨) «علم اللغة» ص ٢٥٥.

من حوار، وبعد انتهاء المفاوضات ورفض العدو لدفع الجزية، عاد رئيس الوفد وأخبر قائده بكل ما تم وكل شيء كشفه عن خطط أو استعداده للمعركة، مما كان له أكبر الأثر في النصر الحاسم في المعركة، ولهذا فقد قيل «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم» وقيل أيضا «الانسان عدو ما يجهل».

ومن ناحية أخرى فان تعلم اللغات الأجنبية من شأنه تقوية الصلات التجارية والسياسية بين الدول الاسلامية والشعوب الأخرى.

ومن الناحية العملية، فاننا نجد أن المستوردات الأجنبية تملأ بلادنا في شتى النواحي ولا يمكن الاستفادة من تلك الأشياء دون تعلم اللغات الأجنبية بل قد يؤدى جهلنا باللغات الى تحطيمها وعدم الاستفادة منها وضياع أموالنا وثرواتنا سدى.

لذا يتضح مدى أهمية تعلم اللغات الأجنبية بجانب لغتنا العربية الأم وذلك لحاجتنا الدينية والدنيوية الى ذلك، وقد غالى بعض الناس حين نادى بأن يكون التعليم في بلادنا باللغة الأجنبية، فلقد ذكر الأستاذ مازن المبارك في كتابه «نحو وعي لغوي». «أن هناك فريقا ينادي بأن يكون التعليم في بلاد العرب باللغة الأجنبية وذلك لأن أهل تلك البلاد سبقونا في ميدان العلوم الحديثة، فلابد من الاستعانة بلغتهم لتحصيل علومهم، وإذا اعتدل بعض هؤلاء في حماستهم للغة الأجنبية نادوا بأن تكون في البلاد لغة أجنبية أو لغات تعيش إلى جانب العربية سواء بسواء[٢٩]»...

وإذا اتضح أهمية تعلم اللغات الأجنبية الأخرى فما هي الوسيلة لانجاح هذه الفكرة وما هي العوامل التي تساعدنا على ذلك:

قال مازن المبارك أيضا في هذا الشأن[٣٠]، قد يتأتى ذلك بالآتي:

---

(٢٩) «نحو وعي لغوي» ص ٣٢.

(٣٠) السابق بتصرف ص ١٤٥.

١ ـ الاهتمام باعداد المدرسين الأكفاء الذين يقومون بتدريسها للطلاب منذ الصغر.

٢ ـ انشاء الكليات والمعاهد المتخصصة التي تخدم هذا الغرض.

٣ ـ إعداد الدروس اللغوية المتدرجة والمسجلة على شرائط يستعين بها من يرغب في تعلم تلك اللغات الأجنبية.

٤ ـ بث البرامج العلمية لتعلم اللغات يعدّها أساتذة متخصصون بحيث تكون أصواتهم واضحة ومخارجه صحيحة.

٥ ـ وأخيرا ارسال البعثات التعليمية بالخارج لكي يتقنوا اللغة في مهدها بحيث يمكنهم تأدية وظيفتهم بنجاح عند عودتهم الى بلادهم.

والله الهادي الى سواء السبيل.

أهم المراجع العربية والأجنبية

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ تفسير ابن كثير.

٣ ـ صحيح البخاري.

٤ ـ الاصابة لابن حجر.

٥ ـ أوربا والاسلام ـ د. عبدالحليم محمود.

٦ ـ نحو وعي لغوي. د. مازن المبارك.

٧ ـ الاسلام في وجه التحديات ـ الأستاذ محمد أحمد مشهور الحداد.

٨ ـ فن الترجمة في الأدب العربي ـ الأستاذ محمد عبدالغني حسن

٩ ـ علم اللغة ـ د. علي عبدالواحد وافي.

١٠ ـ نشأة اللغة ـ د. علي عبدالواحد وافي.

١١ ـ في فقه اللغة ـ د. عبدالعزيز علام ودكتور عبدالله ربيع.

١٢ ـ اللغة والمجتمع رأي ومنهج ـ د. محمد السعران.

13 — Al Mawrid Dictionary.

14 — Teaching English to Arabic speaking.
" By Ministry of Education and American university in Cairo "